الشعر الجاهلي أقرب إلى التوحيد

الشعر ديوان العرب. انه صورة صادقة عن ميولهم، فما كانت صبغة الشعر الجاهلي الدينية؟!...

من نتائج انحلال الوثنية في الحجاز، قبل الدعوة القرآنية، سلامة الشعر الجاهلي من الصبغة الوثنية، بتأثير الدعوة الكتابية.

الشعر بالفطرة فن مستقل: لا يعنى بالدينِ إلّا من بعيد، ولا يتطرّق إليه إلا إذا كان مقصوداً في ذاته. وقد يتجلّى الشاعر ديّناً ولا يظهر ذلك في آثاره. إذا أقررنا بدقة هذا الوصف في كل شاعر، فهو بأولى حجة أكثر دقة في الشعر الجاهلي.

ولكنَّ الشعر مرآة النفس، تنعكس عليها مشاعرها من غير قصد. ونوع الثقافة الدينية يبرز من خلال التعابير. لذلك لهذه الومضات قيمة تاريخية كبرى: تعرف من صوفية الشاعر، البادية أو المستترة، ميوله الدينية. هكذا ترى الوثنية بادية على الشعر اليونانيِ والروماني. وترى الشعرِ العربي الجاهلي سالماً من كل صبغة وثنيّة: «يهُمل ذكرُ الأصنام فيه» (جواد علي: تاريخ العرب ٥: ٤١٥).

البدوي يأتي عملاً دينيّاً عن تقليد وبقوة الاستمرار. ونرى في حياة النبيِ العربي (ﷺ)، في آخر سورة من القرآن آية تدل على مبلغ المرارة التي شعر بها رسول الله تجاه هذا الموقف الجامد: ﴿*وممن حولكم من الأعرابِ منافقون*﴾ [توبة ١٠١]، والأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً! وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله [توبة ٩٨].

ولكن، حيث تبدو عاطفة روحية ما، تتجلى لديهم بعيدة جداً عن الوثنية والشرك بل ترى النزعة التوحيد غالبة عليه، وهذا يدل على ان الشعراء صحافيي تلك الأيام، وقادة الرأي في تلك البيئة البدائية، كانوا وان لم يعتنقوا جميعهم التوحيد الكتابي، موحّدين على طريقتهم وطريقة الكثيرين من مفكري مكة والحجاز (راجع فيليب حتي: تاريخ العرب ١ و٥، لمزيد من التفاصيل حول الموضوع).

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه